مقدّمة

لقد كنت في صغري أحبّ سوبرمان، والرجل الوطواط، والرجل العنكبوت. كنت وزملائي في المدرسة نتبادل المجلات الهزلية في الملعب وفي الأفنية الخلفية وفي منازلنا. في الصف الرابع، اكتشفت القصص الهزلية التي تعرف باسم الأقوياء الأربعة. سحرتني القوة الخارقة التي كان أحد الأقوياء الأربعة يتمتّع بها، إذ كان باستطاعته أن يمدّ ذراعيه ورجليه بطريقة مطاطية. قوّته هذه جعلت من محاولات قتله من قبل أعدائه محاولات فاشلة، إذ كان من المستحيل تمزيقه أو كسره.

لقد كان مجتمعنا في العام 1968 مليئاً بالأحداث التي كان من بينها اكتشافي للأقوياء الأربعة. في تلك السنة، تمّ اغتيال مارتين لوثر كينغ وبوبي كينيدي. كانت عائلتي تتابع كلّ ليلة شاشة التلفاز التي كانت تعرض مشاهد جنود تلوثت وجوههم بالتراب والدماء وصور أخرى لطائرات مروحية تعصف بها الرياح القوية التي تهزّ الأشجار والنباتات في الغابات. لقد كنت في عام 1968 من سكان حيّ يدعى آينا هاينا، وهو حيٌّ تمَّ بناؤه في أسفل جبال أواهو وعلى الجهة التي تهب نحوها الريح. عاد والدي إلى المنزل أكثر من مرّة، من عمله كأستاذ محاضر في جامعة هاواي، والحزن يملأ قلبه بعد إعلامه بأنّ أحد طلاّبه السابقين قد قُتِل في خضمّ المعارك. انتابني شعور من الخوف والارتباك كلّما رأيت جنوداً في قاعدة هيكام الجوية وهم يجرّون كراسيهم المدولبة على الرصيف.

إنني مدرك لرغبتي بأن أكون بطلاً ذا قوىً خارقة، بطلاً شجاعاً لا يمكن هزمه. لقد نمت هذه الرغبة في نفسي، وذلك يعود وبشكل جزئي إلى كوني إنساناً. إلاّ أنّ ذلك تمّ أيضاً نتيجةً لوضع هؤلاء الجنود وبسبب الحرب التي كانت

تهزّ مجتمعنا. كما وأنني أعلم أنّ ما عمل أيضاً على بلورة هذه الرغبة في نفسي هي مشاكلي العائلية والمدرسية.

كانت عائلتي تعاني من الفقر، وذلك في جوّ ساد فيه سوء التفاهم بين والديّ، اللذين عانيا من صعوبة تربيتنا ومن الإرهاق الجسدي الناتج عن هذه المسؤولية. كان زواجهما يتأرجح بين النجاح والفشل، وبدأت بالهرب من المنزل في التاسعة من عمري. أُطلق عليّ اسم الولد الفاسد في المدرسة واستدعيت إلى مكتب المدير مراتٍ عدّة بسبب مشاكلي السلوكية. ازدادت هذه الاضطرابات في الصف الخامس ممّا استدعى تدخّل طبيب نفساني وصف لي جرعات من الريتالين. في غضون أشهر معدودة، طلبت معلمتي السيدة كونو أن يتمّ إيقاف جرعات الريتالين، إذ إنّها شعرت أنّه كان قد بدأ بتحويلي إلى مخلوق يفتقد إلى الحيوية وإلى الرغبة في التكلّم مع الآخرين. قالت السيدة كونو لوالديّ إنّها اشتاقت إلى تألّقي الذي لطالما اعتادت عليه في الصف. توقفت عن أخذ جرعات الريتالين، إلاّ أنّ مشاكلي المدرسية استمرّت. لم أركّز على ما كان يُطلب منّي في الصف. وجدت صعوبة في البقاء في كرسيّ المدرسة للفترة الزمنية المطلوبة.

كنت أفضّل تعلّم معلومةٍ واحدة والتمرّس بها على أن أقوم بتعلّم عدّة أمور في الحصّة نفسها.

لم أرغب بقراءة الكثير من الكتب. كنت أشعر بالملل بسرعة هائلة. كنت أفضل تعلّم الأشياء من خلال القيام بها بنفسي عوضاً عن السماع عنها في الصف. لطالما كنت غير متأكدٍ من فهمي للتعليمات المعطاة لي ولطالما فشلت في تنفيذ ما كان يُطلب منّي القيام به في الصف. لم أرَ في معظم الأحيان داعياً لحضوري إلى المدرسة.

عند ترفّعي إلى الصف السابع، انتقلنا للعيش في وايومينغ، وتحديداً في لارامي، حيث بدأ والدي بإعطاء المحاضرات في جامعة وايومينغ. بدأتُ عندها

في التخلّف عن حضور صفوفي المدرسية. في الصف العاشر، انتقلنا إلى دورانغو في كولورادو، وبدأت العمل لعشرين ساعة في الأسبوع في مطعم. مكّنني ذلك من دفع رسم إيجار لعائلتي بهدف مساعدتها مادياً. ثمّ تحسّنت علاماتي المدرسية في الصف الثاني عشر الذي ترفّعت إليه في ثانوية كايسر في هونولولو، حيث أصبحت عضواً فعّالاً في فريق المناظرات في المدرسة.

إلاّ أنّ مشاكلي المدرسية استمرّت. تحسّن سلوكي لكنني تخرّجت من المدرسة وقدرتي الكتابية بحالة سيئة أدّت إلى رسوبي في أوّل بحث كتبته في السنة الجامعية الأولى. تعليقاً على هذا البحث، كتب لي الأستاذ العبارات التالية: «أفكارك لا بأس بها لكنّك لا تجيد التعبير عنها في كتابتك. كيف يعقل أنّك تخرّجت من المدرسة وقدرتك الكتابية بهذه الحالة المزرية؟».

أذكر أنني في العام 1976، قمت بمناقشة فشلي الأكاديمي الذريع والمستمر مع ناصحة متخصصة في جامعة هاواي. أطلعتها على كلّ ما حصل معي، بدءاً بالطبيب النفسي وبالبريتالين في الصف العاشر وصولاً إلى المشكلات المختلفة التي كانت عائلتي تعاني منها. كانت هذه المستشارة في خريف العمر وكان لديها ثلاثة أولاد. طلبت منّي إعطاءها معلومات إضافية عن المدارس التي التحقت بها، وعندما أخبرتها عن الصعوبة والألم اللذين تعرضت لهما في المدرسة سألتني: «هل يُعقل أن يكون مستوى المدارس التي التحقت بها متدنّياً، ممّا سبّب لك المزيد من المشاكل؟ لقد عانيت من هذا الأمر مع اثنين من أولادي».

فوجئت بسؤالها هذا، إذ إنّه كان التلميح الأول الذي يشير إلى أنني لم أكن وحدي أساساً للمشكلة، بل إنّ هناك ما يدلّ على أن النظام المدرسي بحدّ ذاته يعاني من أخطاء تعليمية تسهّل مشكلات أولادنا. طلبت تفسيراً إضافياً من الناصحة لأفهم قصدها ولأحاول معرفة ما قد تكون مشكلة المدارس التي التحقت بها. إلاّ أنّها لم تضف المزيد على هذا الموضوع ممّا أجبرني على محاولة

تحديد المشكلة بنفسي. تذكّرت الماضي الذي كنت فيه ولداً يحاول أن يكون كالبطل المطّاطي، شخصاً يستطيع التماشي وجميع الظروف ويحاول باستمرار التعلّم بغية الوصول إلى أهداف معينة من خلال أساليب تعليمية لم تساعده في معظم الأحيان. تذكرت حدّة الألم الذي كنت أشعر به وعادت إلى ذاكرتي محاولتي المستمرة لمواجهة ذلك النظام التعليمي ومحاربته.

بعد ثلاث سنوات بدأت دراساتي العليا وبحكم مكوثي في منزل للطلبة، تعرّفت إلى الكثير ممّن كانوا يسكنون معي. كان جميع هؤلاء الشبّان، كلٌّ بطريقة مختلفة، طلاّباً عانوا في المدرسة في صغرهم. فمنهم من كان بمثابة خيبة أمل، ومنهم من لم يستطع الأداء بشكل جيد في المدرسة بالرغم من طاقاته، ومنهم من كان يفتقد إلى الحماس تجاه التعلّم. كانت تجربة السكن معهم ومعرفة قصصهم المختلفة أمراً ساعدني على فهم الكثير من الأمور، خصوصاً وأنّ عددنا كان كبيراً. أطلعني أحد زملائي في الجامعة على تعليق سمعه من والده في صغره: «ليس من الضروري أن تحب المدرسة أو أن تكترث لها. كلّ ما عليك محاولته هو أن تترفّع من صفٍ إلى آخر حتى تصل إلى الجامعة. إن استطاع أي ولد تحقيق ذلك يعني أنّه سيكون بأفضل حال».

استوقفني هذا الكلام الذي كنت قد سمعته في السابق، إذ إنني لطالما فكرت به وقلته لنفسي في صغري. لم يعد هذا الكلام يعجبني الآن. هناك مشكلة ما، وإنّ هذه المشكلة لا تتعلّق بي أو بعائلتي المضطربة بل بالأسلوب التعليمي المستخدم في مدارسنا وفي الحياة بشكل عام.

أصبحت محاولتي لتحديد هذه المشكلة محور عملي المهني. الآن، وبعد ربع قرن، أتذكّر سنواتي المدرسية مسلّحاً بمعلومات إضافية وبقدرة على رؤية الأمور بشكل أوضح وبقليل من الحكمة التي أتمنى أن أكون متمتعاً بها. لقد تركّز عملي في السنوات الأخيرة حول المسار الذي يظهر ما يجري في الصبا، ابتداءً من

لحظة الولادة وصولاً إلى سنّ البلوغ، كان اهتمامي هذا ينصبّ على الحياة داخل المدرسة وخارجها.

لقد تمحور عملي بصفتي معالجاً ومربّياً ومفكّراً وكاتباً، على مساعدة مجتمعنا على تغيير وتطوير أساليبه التربوية والتعليمية، وذلك بغرض تقديم الأفضل لأبنائنا. كان الهدف من مؤلفاتي مثل «أعجوبة الأولاد» و«الشاب الفاضل» و«الابن الحسن» هو توعية الأهل والمربّين وأصحاب القرار حول خطورة المشكلات التي يعاني منها أولادنا على الصّعد العاطفية والنفسية والأخلاقية في منازلهم وفي المجتمع بشكل عام. أمّا كتاب «الفتيات والفتيان يتعلّمون بشكل مختلف»، فإنّه كان الرائد في مناقشة النتائج الحديثة للأبحاث المتعلقة باختلاف التعلم بين الجنسين، وذلك في مختلف الحقول وخاصة علم دراسة العقل الإنساني، وعلم الكيمياء الحيوية إضافةً إلى دراسات نموّ الأطفال. من جهة أخرى، قصدت في كتاب «محاولة فهم الرجال» إظهار عقلية الرجال وأهدافهم الحياتية، إضافةً إلى توعية النساء من أجل إنجاح علاقاتهن مع الرجال. وفي كتابي هذا، أشدّد بمساعدة المؤلفة المشاركة كاثي ستيفنز على ضرورة أن يؤخذ ما يجري للأولاد في مدارسنا بعين الاعتبار وذلك من قبل الأهل، والمعلمين وأصحاب القرار إضافة إلى أيّ مواطن يهمه أمر مجتمعنا هذا.

يتمّ اليوم التخطيط لنظام تعليمي جديد لأبنائنا، إلاّ أنّنا لا نستطيع الجزم بأن هذا النظام يتطابق وما نرغب به في مدارسنا. لقد ألّفت كتابي هذا بمشاركة كاثي ستيفنز، وهي أمّ ومعلّمة إضافةً إلى كونها مديرة مركز غوريان للأبحاث. تمّ اختيارها لمساعدتي على تأليف هذا الكتاب وذلك لنحاول سويّاً أن نرشدكم إلى الحلول المناسبة وإلى كيفية مساعدة أولادكم وطلاّبنا على الوصول إلى أفضل النتائج في المدرسة. تشاطرني كاثي الرأي بأننا نخسر الكثير من أولادنا في المدرسة، إذ إنهم يصلون إلى حائط تعليمي مسدود. إنّ عدد الأولاد

الذين يواجهون بالفشل الأكاديمي بازدياد مستمر، ممّا يضطرهم إلى بدء حياتهم بشكل ضعيف خصوصاً وأنهم يفتقدون إلى الشهادات وإلى المهارات الأساسية التي لا يستطيعون من دونها النجاح في عالم يزداد تطلباً ومنافسةً يوماً بعد يوم. يجب ألاّ يستمرّ ما يحصل مع أولادنا، ولذا فإننا نعتقد أن الوقت قد حان لنحسّن هذا الوضع المأسوي.

كتاب «عقول الفتيان» دليلٌ عملي لمساعدة الفتيان على التعلّم والأداء بشكل أفضل في صفوفهم والنجاح في الحياة. يؤمن لكم هذا الكتاب نظاماً تستطيعون البدء باتباعه مباشرةً في حياتكم وفي تجربة ابنكم الأكاديمية.

كاثي ستيفينز:

تدافع كاثي ستيفنز عن حقوق الفتيان والفتيات، تماماً كما أفعل عبر أبحاثي. شاركت كاثي لمدة ثلاثين عاماً بابتكار برامج خاصة بالتنمية الأنثوية، وقد أصبحت مؤخراً مديرة وكالة الموارد النسائية في كولورادو سبرينغز. كما وأشرفت على برنامج توجيه المراهقات الذي حصد عدداً من الجوائز لفعاليته.

اتصلت بي كاثي بعد مطالعتها كتابي «أعجوبة الفتيان»، وقمنا بمناقشة اهتمامنا المشترك بمختلف الأساليب ووجهات النظر الخاصة بحياة الفتيان. تركّز عملي في العقدين الماضيين على دمج علم الأحياء العصبي وعلم الإنسان وعلم النفس في محاولةٍ لفهم طريقة نمو الفتيان والفتيات بطرق متشابهة ولكن متباينة. لاحظت كاثي من خلال أبحاثها أنّ هناك صعوبات مشتركة يواجهها الفتيان والفتيات.

تشدّد كاثي على أهمية فهم ما يجري مع الفتيان، إذ إن ذلك يؤدي إلى نجاحنا في مساعدة الفتيات بشكل أفضل. كاثي هي من الأشخاص الحكماء الذين ينظرون إلى المسائل من جميع أطرافها. صودف أنّني تعرفت إلى كاثي في

الفترة التي كنت أبحث فيها عن مديرة تدريب في مركزي المخصص لدراسة هذه المسألة. تولَّت كاثي هذه المسؤولية وساعدت على أن يبتكر مركز غوريان برامج في أميركا وكندا وأوستراليا. إنّ معظم الاقتراحات التي يتطرق إليها هذا الكتاب هي من ابتكار كاثي ستيفنز.

ليست المؤلفة المشاركة مجرّد مدرّبة وباحثة، بل هي أيضاً أمٌّ لصبيين. عندما أخبرتني عن التجربة المدرسية لابنها كارل، تذكرت معاناة والدتي لأتخرّج من المدرسة. كما فكّرت عندها بجميع الأهالي والمدرّسين الذين يناضلون لمساعدة أبنائهم وطلاّبهم على الأداء بأفضل شكل ممكن في مدارسهم. إنّ تجربة كاثي قاسية ومؤثّرة في الوقت نفسه، وتمثّل قوّة تصميم المرء على محاربة الفشل، والإرادة التي يتحلّى بها جميعنا لحماية قدرة أبنائنا الفكرية.

تجربة كاثي:

لطالما كان كارل مايكل مولعاً بالمجازفة منذ ولادته. كان كثير الحركة، وكان مستعداً ومتحمساً لاستكشاف العالم. كانت عيناه زرقاوين وكانت ابتسامته تشعّ أينما كان. اتّسم كارل بكونه شديد الفضولية والودّ. استكشف ما حوله واستهلك الكثير من الطاقة. كان ينام بشكل عميق، واستمتع بالمدرسة في ما بعد. في الصفوف التمهيدية والأول والثاني والثالث، ساعده مدرّسوه على إنجاز الفروض وعلى النمو. كان طفلاً كثير الكلام والحركة، إلاّ أنّه تعلّم بشكل جيد.

ترفّع كارل بعدها إلى الصف الرابع، وأدّت التجربة في ذلك الصف إلى تغيير موقفه من المدرسة بشكل جذري. لم تفهم المعلّمة طاقته وطريقة تعلّمه، إضافةً إلى صبيانيته وإلى عدم قدرته على الجلوس في مكانه بشكل هادئ. كنت أعلم أنّ تلك هي طبيعته لكنّها اعتبرت تلك الأمور مشكلات خطيرة. عاملَتْ كارل بقسوة وزرعت فيه الشعور بأنها لا تحبّه وبأنّه فتىً غير نافع.

بدأ موقف كارل من المدرسة بالتغيّر. لم يكن يرغب بالذهاب إلى صفوفه لأيامٍ متتالية. اجتمعت مع معلمته لكنني لم أستطع التأثير عليها. قالت إنّ كارل يعاني من اضطرابات سلوكية.

كنت أرى ابني يتحوّل من فتى نشيط وذكي إلى طالب يكره المدرسة، وضايقني ذلك إلى حدّ كبير. أستمع الآن إلى كثير من الآباء والأمهات وهم يتحدّثون عن خسارة أبنائهم بسبب أزمات مماثلة، ويذكرني ذلك بالكابوس الذي عانت منه عائلتي. خلال تلك السنة، تقرّر أن كارل يعاني من الحركة المفرطة والنقص بالانتباه بالرغم من أنّ الفحوصات المختلفة المتعلّقة بالذكاء أظهرت أنّ إمكانيته الأكاديمية تفوق المعدّل. في الصف السادس، طلبت معلّمته أن يلتحق بصف الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة. نصحتنا مديرة المدرسة بأن نقوم باستشارة عالمٍ نفسي حدّد لكارل جرعات من الريتالين. اعتُبر كارل مشكلة في المدرسة وبدأ طبيبٌ بمعالجته. كان كارل يكره المدرسة وكنّا كأهله شديدي الارتباك. لم نعلم من علينا استشارته. كان المتخصصون من حولنا يقومون بما بوسعهم، إلاّ أنّنا لاحظنا حزن كارل ورسوبه الأكاديمي.

كانت الصفوف السادس والسابع الثامن من أكثر المراحل المؤلمة في حياة كارل وفي حياتنا. ازداد نفور كارل من المدرسة. كان زملاؤه في الصف أولاداً يعانون من اضطرابات منها البسيط ومنها الشديد الخطورة. لطالما بكى كارل وتوسّل إلينا بالبقاء في المنزل. كان قد اقترب من مرحلة البلوغ، فحاول اكتشاف عالمه الجديد وزملاءه في الصف، إلاّ أنه شعر بعدم الانتماء إلى المجموعة التي حوله. كان زملاؤه يسخرون منه ويقولون إنّه أحمق ومتخلّف، وأحسّ بأنّه فاشل.

خارج المدرسة، مارس كارل الرياضة. كان يلعب كرة السلة ويقوم بتسلّق الجبال. كما وقام بالتزلج واستمتع بالتخييم مع العائلة، الأمر الذي كنّا نقوم به سنوياً لأسبوع واحد في موسم الصيف. كان يشاركنا بشغف في النشاطات كصيد

السمك والتجذيف في البحيرات والأنهر. في الصيف، كان يقوم بجمع العشب وتقليب التربة وتنظيف الميازيب في حيّنا. جنى المال من هذه الأعمال، ممّا سمح له بالذهاب إلى السينما وبشراء الحذاء الرياضي الخاص بمايكل جوردان.

إلاّ أنّه كان مراهقاً مكتئباً في المدرسة. في الصف التاسع، بدأ بالتخلّف عن حضور المدرسة وبإنجاز القليل من فروضه ممّا أدّى أخيراً إلى رسوبه. كان أخوه الذي يكبره بست سنوات قد التحق بالجامعة، وسنحت لنا فرصة الانتقال من فيرجينيا إلى كولورادو. أيّد كارل فكرة الانتقال مباشرةً إلى تلك الولاية، فوضّبنا أغراضنا وذهبنا إلى الغرب.

كانت تستغرق الرحلة ثلاثة أيام، وفي اليوم الأول، تحدثنا عمّا أردناه في حياتنا في كولورادو. عبّر كارل عن رغبته بتغيير كل شيء حتى اسمه. لم يكن يريد البقاء على ما كان عليه في المدرسة في السابق. أراد أن يُعرف في المدرسة الجديدة باسمه الأوسط مايك. توسّل إليّ بألاّ يلتحق بصف الاحتياجات الخاصة وقلت له إنني سأحاول ألاّ يتمّ ذلك. لم أكن واثقةً من قدرتي على منحه ما يريد، إذ إن التجربة في مدرسته القديمة جعلتني أشعر بالعجز.

تحسّنت الأوضاع في كولورادو. لقينا المساعدة اللازمة هناك. بدأ الجميع بتسميته مايك. اخترنا منطقة سكننا وفقاً للمقاطعة التي توفّر أفضل مساعدة لمايك. اجتمعنا مع مستشارة مذهلة في مدرسة هولمز، وأطلعها مايك على تجربته. طرحت عليه الكثير من الأسئلة وأصغت إليه بانتباه. في نهاية اجتماعنا، قالت إنّ ابني سيعاني من أوقات عصيبة في المدرسة إذ إنّه قد تخلّف عمّن هم بعمره. إلاّ أنّها وافقت بأن يحضر الصفوف العادية.

كانت المستشارة محقّة إذ إن مايك واجه الكثير من الصعوبات. لكنّه لم يأخذ أيّ دواء ولم يلتحق بالصفوف الخاصة. تعاون معه معظم مدرّسيه وكانوا

شديدي الصبر معه. بدأ بممارسة كرة القدم، ممّا ساعده كثيراً، خصوصاً وأنّ هذه الرياضة باتت الدافع لحضوره إلى المدرسة. حصل على حافزٍ قوي وعلى التدريب. أصبح أكثر شعبيةً بين زملائه وبشكل سريع. أحبّه معظم مدرّسيه، حتّى الذين أزعجهم عدم إيمانه بالمدرسة. أصبح مايك عضواً فعالاً في نادي الكنيسة وازداد عدد أصدقائه.

أصبح كارل مايكل في الثامنة والعشرين من عمره ومضى على كونه جندياً محنّكاً حوالي خمس سنوات. التحق بالجامعة ويودّ أن يصبح مدرّساً في المستقبل. يعبّر الآن عن معرفته لما جرى في المدرسة من أمور جيدة وأخرى خاطئة، ويشعر برغبة بمساعدة الفتيان الذين يعانون من مشكلات مشابهة في مدارسهم.

عادت ابتسامة مايك واستعاد طبيعته الفضولية والودودة. أصبح إنساناً مجازفاً كما كان في صغره. لم يعد يشكّ في نفسه وفي قدراته كما كان يفعل في السابق. إنّه يقترب من تحقيق أحلامه التي أشاطره إيّاها كوني أمّه، وهي أن يغدو رجلاً ناجحاً. أكثر ما يسعى إليه مايك هو أن يصبح مدرّساً للأطفال.

دمعت عيناي عندما أطلعتني كاثي على تجربتها، خصوصاً وأنّها ذكّرتني بطفولتي. لم أكن رياضياً كما كان مايك، إلاّ أنّه كان هناك الكثير من التشابه بين تجربتينا.

التقيت بمايك في العام 2002، وأعجبني ذكاؤه وحماسته. بالرغم من أنني أكبر منه بعشرين عاماً، إلاّ أنّني رأيت أنّه عانى مثلي من النظام التعليمي الذي لم يتوافق وقدرتنا الفكرية. وفقاً إلى هذا النظام، كانت طاقتنا مشكلة ولم تُعتبر أمراً إيجابياً. لم تقم مدارسنا على احترام حاجتنا إلى التحرّك وإلى القيام بالأشياء عوضاً عن التحدث عنها. كما وأنها لم تعتمد على أساليب تعليمية

تبقينا على مستوى مقبول من التركيز، وذلك بسبب عدم وجود الدعم المعنوي لجميع الفتيان. لم نكن الطلاب الذين أرادهم المدرّسون في صفوفهم.

عندما التقيت بكاثي للمرة الأولى، أتتني فكرة هذا الكتاب، وبعدما تعرّفت إلى ابنها، ازدادت رغبتي بمشاركتها لي في كتابة هذا الموضوع. اتفقت وكاثي على ضرورة تأليف كتاب يساعد الأهالي والمدرّسين على فهم الفتيان وعائلاتهم ومعاناتهم في النظام التعليمي الحالي. كما واتفقنا على أهمية التوصل إلى فهم لجميع الفتيان الذين يريدون الاستفادة من سنواتهم المدرسية بأفضل شكل ممكن.

ما اتبعناه في بحثنا:

إن أهم حافز لتأليف كتاب يحتاج إليه المجتمع هو تجربة شخصية مؤلمة. كانت لكاثي ولي تجربةٌ صعبةٌ في النظام التعليمي المتّبع، ممّا دفعنا إلى إنجاز هذا المشروع.

إلاّ أنّ الاعتماد على تجربتين فحسب لتأليف كتاب كهذا ليس كافياً، إذ إنّ أهم عناصر أيّ كتاب هو اللجوء إلى بحوث سابقة والقيام بأبحاث خاصة. لذا، بذلنا الكثير من الجهد في أبحاث تساعد هذا المشروع. كان معظمها يتمحور حول الفتيان الذين يعانون من مشكلات في المدرسة، إلاّ أن بعضها لم يرتكز على هؤلاء. لا نعتقد بأنّ كلّ فتى وكلّ والد يواجه هذه المعاناة، وإنّنا لا نلقي اللوم على أيّ معلّم أو على أيّة مدرسة محددة. هناك الكثير من التجارب الإيجابية للفتيان في مدارسهم، وهناك أعداد كبيرة من المدرّسين الذين يهتمون بهؤلاء الفتيان وبقدراتهم الفكرية. لم نقم بأبحاثنا وبتأليفنا لهذا الكتاب بهدف التذمّر.

إلاّ أنّ غايتنا هي إطلاعكم على نظريتنا وعلى كثير من المعلومات والاقتراحات التي تستطيعون البدء بتطبيقها مباشرةً. توصّلنا إلى كل ما نقدمه

إليكم في الكتاب بالتعاون مع مدرّسين وأهل ومربّين يشعرون مثلنا بأنّ نظامنا التعليمي، وبالرغم من إيجابياته العديدة، لا يأخذ حاجات الفتيان وقدراتهم الفكرية بعين الاعتبار.

نظريّتنا:

قمنا بدراسة الأبحاث التربوية التي تمّ إنجازها في العشرين سنة الماضية. بعد تقييمها وتحليلها، توصّلنا إلى أنّ النظام التعليمي الحالي، الذي يشمل المدارس والمنازل والمجتمعات، لا يقوم على أهمّ عناصر التربية وهي:

- الأسلوب التعلّمي عند الذكور.

- إمكانية عدم توافق هذا الأسلوب التعلّمي الذكوري والكثير من الممارسات التربوية الحالية.

- دور الأهالي والمجتمعات في ضمان تعلّم الفتيان.

- الاستراتيجيات التعليمية الحديثة التي أثبتت فعاليتها في المدارس الخاصة بالفتيان.

كتابنا:

سنعرّفكم من خلال هذا الكتاب على هذه النظرية، وسنبدأ في الفصل الأول بعرض الأزمة التي يعاني منها الكثير من الفتيان في النظام التعليمي الحالي. كما وسنطلعكم على تجارب عديدة مشابهة لتجربتي ولتجربة مايك، ابن كاثي. قد يفاجئكم عدد الفتيان الذين يعانون من مشكلاتهم في مدارسهم. ستقوم هذه التجارب المعروضة بدعم كلّ من يعاني من الأزمة نفسها. أمّا من لا يعيش هذه المصاعب، فسيلفت هذا الكتاب نظرهم إلى من في مجتمعهم من فتيان يواجهون هذه الأزمة القائمة على عدم توافق الأنظمة التربوية الحالية وقدرات الفتيان الفكرية والتعلّمية.

أمّا الفصل الثاني، فهو بمثابة رحلة استكشافية في دماغ الفتيان وتكوينه وما يجري داخله. إنّ الاطّلاع على هذه التفاصيل سيظهر لكم طريقة تعلّم الفتيان لتعرفوا إن كان أداؤهم جيداً أم سيئاً. سنقوم بمقارنة صور الأشعة الخاصة بالأدمغة الذكورية والأنثوية، وستلاحظون التشابه والاختلاف في تعلّم الجنسين للرياضيات والعلوم والقراءة والكتابة، إضافةً إلى المواد الأخرى.

أثناء هذه المقارنة، سنعرض عليكم مدى أخذ الاختلافات بين الجنسين بعين الاعتبار وما يجب القيام به في المستقبل وفقاً لهذه الفروقات التعلّمية. يمثّل الفصلان الأول والثاني أوّل خطوتين عليكم أخذها قبل الانتقال إلى الاستراتيجيات التي نقوم باقتراحها.

تعتمد هاتان الخطوتان المتمثلتان بنظريتنا وبحثنا، على علم الأحياء العصبي وعلم الإنسان وعلم الاجتماع وعلم النفس التربوي. لقد كانت لي ولكاثي تجارب عمل في بلاد أخرى، لذا فإنّ معلوماتنا قائمةٌ على أبحاث في الولايات المتحدة وفي قارات أخرى.

نأمل بأنّ اعتمادنا على هذه العلوم المختلفة وعلى الأبحاث العديدة سيساعدكم على التوصّل إلى فهم جديد لما يتناسب وقدرة الفتيان الفكرية أينما كانوا ومهما كان مستواهم التعليمي الحالي. إن الأسلوب التعلّمي الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب لا يقوم على أفكار مقولبة بل إنّ أساسه الاختلاف بين الفتيان أنفسهم. إلاّ أنّ إطلاعكم عليه سيوضح لكم القدرة الفكرية عند معظم الذكور. من المهم أن يفهم المدرّسون والأهالي الطاقة الذكورية بشكل كامل، خصوصاً وأننا نؤمن بأن داخل كل فتى بطلاً تربوياً يحاول النمو. نعتقد أنّ كل فتى قادرٌ على التعلّم إن كان النظام التعليمي مدروساً.

تعليم الفتيان بالطرق المناسبة:

ذهبت مؤخراً لمشاهدة فيلم الرجل العنكبوت 2 مع زوجتي غايل وأولادي وبعض أصدقائهم. استمتعت به وأعلم أنّ الأولاد أحبّوه أيضاً. خرجنا من الصالة وفي نفوسنا شعور بطولي جعلنا ندرك عدم ثقتنا بذاتنا وشجاعتنا الفطرية التي تحتاج إلى أن نستغلّها ونوجهها نحو الأفضل لنا. إن قصة الرجل العنكبوت الهزلية من أفضل القصص ببساطتها وأهميتها.

كانت ابنتي الكبرى غابرييل تعلم أنّني وكاثي في صدد تأليف كتاب عن الفتيان والتربية، وسألتني إن كنت قد لاحظت أنّ بيتر باركر يعاني من مشكلات تعلّمية في المدرسة. ولّد هذا السؤال مناقشةً عن الأفلام الحديثة واعتمادها على أبطال ليسوا طلاّباً جيدين. حتى إنّ سلسلة هاري بوتر الأكثر شعبية تظهر أنّ أفضل الطلاب أنثى وأنّ الفتيان هم أكثر من يواجهون صعوبات في صفوفهم. لم تعد هذه الشخصيات الخيالية، أمثال بيتر باركر، مؤمنةً بقدرة المؤسسات التعليمية والمجتمعات على تأمين التعليم المناسب. يشعر هؤلاء الأبطال بالعزلة ويصبّون اهتمامهم كلّه على قدرتهم السحرية. من حسن الحظ أنّ هؤلاء الأبطال يتمتعون بقوة خارقة، إلاّ أنّ الفتيان العاديين لا يملكون هذه القدرات. لا توفر المدارس لهم فرص النجاح وما من قوة باطنية لديهم.

تضايقت من هذا الموضوع تلك الليلة، إلاّ أنّني شعرت ببعض الارتياح. كنت عندها أعمل على كتابة القسم الخاص بكيفية تعليم اللغة للفتيان، أشعر بأنني غير مضطر للتخلّي عن فكرة القوة الخارقة، حتى في السابعة والأربعين من عمري. لا يمكن حلّ المشكلات الحياتية بواسطة التحوّلات السحرية، إلاّ أنّ تطبيق العلوم وبذل الجهود يؤدّي إلى حلولٍ كثيرة. كان ذلك بمثابة القوة الخارقة من خلال الاستراتيجيات التي بوسعهم تطبيقها مع أيّ فتى يعاني من مشكلة مدرسية.

أتمنى أن تكون لعلم الأحياء العصبي وعلم الإنسان وعلم الاجتماع وعلم النفس القدرة الخارقة لحلّ المشكلات. تتمتع هذه العلوم بالقدرة على مساعدة الفتيان وعلى توجيههم إلى درب النجاح وعلى جعلهم يحبّون المدرسة. أتمنى أن يقنعكم هذا الكتاب بالقوة الخارقة الخاصة بالعلوم والأبحاث.

أخبرني مايك، ابن كاثي، أنّه كان يرغب بشدّة بأن يحبّ المدرسة، وأراد ذلك طوال سنواته المدرسية الصعبة.

أهنئه على تلك الرغبة التي شعرت بها في صغري. يرغب جميع أبنائنا بأن يستمتعوا بالساعات التي يمضوها في المدرسة كلّ يوم، ويودّون لو أنّهم يشعرون أثناءها بالقوة الخارقة، في مدارسهم ومنازلهم ومغامراتهم التعلّمية.

يريد أبناؤكم وطلابكم الاستمتاع بالتجربة الأكاديمية، ويودّون تعلّم مختلف الأمور من خلال قيامهم بها. إنّهم مثلكم، أشخاصٌ يبحثون عن وسائل عملية للاستفادة ممّا حولهم وللتعلّم بشكل جيّد.

بعد الفصلين الأول والثاني، سنبدأ باقتراحاتنا العملية المتمثلة بالخطوات التي يمكنكم اتباعها لمساعدة أبنائكم وطلابكم على النجاح. إنّ معظم الاستراتيجيات التي نقترحها هي من ابتكار مركز غوريان.

لقد أصبح مركز غوريان، وخاصةً تحت إدارة كاثي ستيفنز، مورداً للمعلومات العملية الخاصة بتعليم الفتيان والفتيات. يعتمد المركز على أسلوبٍ يستطيع الأهالي والمدرّسون والأنظمة التعليمية استخدامه في تعليمهم للفتيان بطرق مناسبة. لقد أثبت هذا الأسلوب فعاليته في صفوف ومنازل مختلفة في معظم الولايات الأميركية مثال ألاباما، كاليفورنيا، كولورادو، فلوريدا، جورجيا، كينتاكي، مينيسوتا، ميزوري، نيويورك، تكساس وواشنطن. كما وامتدت فعالية

هذه الاستراتيجيات إلى انكلترا وكندا وأوستراليا (لمعرفة المزيد عن فعالية هذه الأساليب، يمكنكم التوجه إلى (www.gurianinstitute.com).

إنّ محور الفصول العشرة الأخيرة من كتاب «عقول الفتيان» هو الإجراءات العملية التي يمكنكم تطبيقها في المنازل والمدارس. لقد وصلنا إلى هذه المعلومات العملية بعد إصغائنا إلى الكثير من الأسئلة، ونذكر منها:

- ما دور التغذية في تعليم ابني؟

- ما دور العائلة في نجاح تجربته المدرسية؟

- هل يستطيع الأهالي أن يصبحوا مدرّسين؟

- في أية مرحلة مدرسية أتوقف عن مساعدته في إنجاز فروضه المنزلية؟

- هل هناك تصميم داخلي للصف يتّسم بفعالية أكبر من غيره؟

- ما هي المدة المثلى لمشاهدة البرامج التلفزيونية؟

- ما دور الكمبيوتر في نموّ الفتى التعلّمي؟

- هل هناك طريقة ما لمكافحة الضغط الذي يتعرض بعض الفتيان له من قبل زملائهم والذي يجعلهم يكرهون المدرسة؟

- ما السبيل لدعم المدرّسين في تعليمهم للفتيان؟

- كيف يمكن استخدام الصفوف الأحادية الجنس ليستفيد الفتيان من التأكد من عدم التأثير السلبي على الفتيات؟

- ما هي الأساليب التعليمية التي يطالب بها الفتيان أنفسهم؟

يتمحور القسمان الثاني والثالث من هذا الكتاب حول تدريبكم على تغيير البيئة في المنازل والمدارس والصفوف لتتناسب وحاجات الفتيان وميولهم

التعلّمية. تشمل هذه التعديلات تغيير الجداول اليومية الخاصة بالمنازل والصفوف. إضافةً إلى السياسات المتبعة، وعدد الطلاّب المناسب في كلّ صف، والتصميم الداخلي للصفوف والقواعد والإجراءات المتخذة فيها. لقد تمّ إثبات فاعلية جميع الاقتراحات المقدّمة إذ إنّنا اعتمدنا على الاستراتيجيات التي توصلت إليها الأبحاث في السنوات العشرين الماضية. نسعى في هذا الكتاب إلى تقديم الأفضل والأكثر فاعلية.

ستلاحظون اعتمادنا على سرد تجارب عديدة لمدرّسين وأهل وأجداد وأفراد آخرين. يقوم هؤلاء بالاعتناء بالفتيان وبتعليمهم بأفضل الطرق في منازلهم ومدارسهم وفي الحدائق والشوارع. تستطيع تجاربهم أن ترشدنا إلى الدرب الصحيح تماماً كالأبحاث المختصة. في الكتاب شهادات لمديري مدارس عديدة ولمدرّسين وأهل، إضافة إلى آخرين قاموا بابتكار أنظمة فعّالة أدّت إلى تحسّن علامات الطلاب وإلى تقليص عدد المشكلات السلوكية.

هناك مسائل عديدة تحدث عنها المدرّسون والأهالي. يرتكز القسم الثالث على الاستراتيجيات التي يجب اتباعها في المنازل والمدارس لتعليم القراءة والكتابة واللغات والرياضيات والعلوم. يشمل هذا القسم معلوماتٍ عن أهمية الفنون والرياضة في تعليم الفتيان. كما وسنتطرق إلى فعالية الصفوف الأحادية الجنس. أعترف وكاثي بفعالية الصفوف المختلطة، إلاّ أنّنا نعتقد بأن الاعتماد على بعض الحصص الأحادية الجنس يفيد الفتيان والفتيات، وسنبرّر لكم ذلك في كتابنا.

أما القسم الرابع من الكتاب، فإنّه يناقش المسائل المتعلقة بالفتيان ذوي الاضطرابات العاطفية والأداء الأكاديمي السيئ. كما ويتمحور هذا القسم حول من يعانون من مضايقة الزملاء ومن الاحتياجات التعلّمية الخاصة. سنركز على الاستراتيجيات التي يجب اتباعها مع هؤلاء الفتيان كي لا يتمّ إهمال أيّ منهم.

ستلاحظون أنّ هناك جزءاً خاصاً بدور المدرّسين وآخراً خاصاً بدور الأهل. سنعرض عليكم دور الأم والأب والأجداد والجيران والمدرّبين في توفير أعلى مستوى من التعليم في المنزل. سنناقش دور الأهل والمدرّسين وأهمية تعاونهم مع بعضهم البعض. نقدّم للمعلمين في كلّ فصل اقتراحات بوسعهم تطبيقها فوراً في صفوفهم.

في الكثير من الفصول قسم بعنوان «هل كنت تعلم؟» وآخر خاص بالاقتراحات. نأمل أن تقدّموا هذه المعلومات إلى الأصدقاء وإلى أفراد العائلة، وأن تتشاركوها مع الآخرين في المدرسة وفي اجتماعات الطاقم التعليمي. نأمل بأن تساعدكم هذه المعلومات على تعزيز التواصل في ما بينكم، خصوصاً حول ما يتعلّق بحاجات الفتيان في مدنكم ومدارسكم.

عقول الفتيان:

لقد أصبحت مساعدة الفتيان محوراً عملياً وعمل كاثي، وباتت هدفاً أساسياً في حياتنا. لقد افتقرت حياة الذكور إلى العناية الفعّالة في السنوات الماضية. لقد ولّدت تجربتانا الألم في نفوسنا وزرعتا فينا الشغف لمساعدة الفتيان.

ينبع هذا الكتاب من عملٍ مشتركٍ بيننا وبين مركز غوريان، وهو نتيجةٌ لمجهود المجموعة كلّها، وإنّ أكثر ما يهمّنا هو نجاح الأولاد. لما استطعنا تأليف هذا الكتاب دون التجارب والاستراتيجيات التي شاطرنا إياها الآخرون، من أبناء وبنات وأمهات وآباء وأجداد ومدرّسين ومدرّبين. لقد أطلعونا على أفكارهم القيّمة في لقاءاتنا معهم أو في رسائلهم الإلكترونية.

نشكر جميع من وثق بنا وأطلعنا على تجربته. نشعر وكأننا قد التقينا بأبنائكم وبالفتيان في مدارسكم، إضافةً إلى الشبان الذين يعانون من مشكلات

مدرسية حالياً والذين يبحثون عن المساعدة. إنّكم تشاطروننا الإدراك بخطورة المسألة، لذا فإننا نستطيع التعاون لزرع الوعي في مجتمعاتنا ولحثّ الجميع، نساءً ورجالاً، على حماية أبنائنا وقدراتهم الفكرية.

فلنستكشف الذكور معاً ولنكن أكثر وعياً إلى أنّ هؤلاء الفتيان غير قادرين على تغيير أنفسهم للتكيّف مع ما حولهم. لا نستطيع أن نخسر هؤلاء الشبان، ويجب ألاّ نقبل بذهابهم إلى المدرسة وهم تعساء. علينا اتخاذ إجراءات شاملة وكاملة، متسلّحين بالشغف والمعرفة. فلنبدأ الآن وهنا!